# يميت ويحـــــيى

**المسرح منقسم إلى قسمين. قسم أمامى وهو حوالى ثلثى المساحة وهو مضاء واضح المعالم. فى وسطه نخلة مغروسة، وفى جانب منه ساقية صامتة، القسم الخلفى مرتفع الدرجات على هيئة مصطبة، تغشاه الظلمة، وتلوح به أشباح راقدة، نيام أو موتى. الطابع طابع تجريدى.**

**يُرفع الستار. على المسرح فتاة جميلة تسير ذهابا وجيئة بين النخلة والساقية. ثوبها يناسب الجو التجريدى حيث يصعب تحديده على أساس جغرافى وكذلك ثياب جميع من سيظهرون على المسرح.**

**ومع ارتفاع الستار تترامى أصوات معركة بين اثنين آتية من ناحية اليسار. شتائم وتهديدات وأصوات ضرب.**

**الفتاة** : يارب السماوات. . متى تختفى هذه الأصوات من الوجود؟ . . متى تشرق شمسك على أرض ناعمة البال، قريرة العين؟

**(تصغى إلى الأصوات بقلق متزايد ثم تقول)**

ترى هل أكفر عن ذنب قديم؟ أو إنه بلاء مركب فى دمى؟ أو إنها أخطاء تقع فلا تلقى إرادة صادقة لإصلاحها؟

**(يتقهقر شخص مندفعا بعنف، نتيجة لدفعة قوية تلقاها فى**

**الخارج، ثم يسقط تحت النخلة مغمى عليه. الفتاة تنحنى فوقه باهتمام وتربت على خده بحنان. يفتح عينيه. ينظر إليها ثم يغمض عينيه مرة أخرى مغمغما)**

الفتى : أبي!

**(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)**

: أمي!

**(تربت على خده بحنان، يفتح عينيه لحظات ثم يغمضهما مغمغما)**

: زوجتي!

الفتاة : شد حيلك .

**(تدلك خديه. يفتح عينيه مفيقا. ينظر إليها طويلا ثم يتمتم)**

الفتى : أنت!

الفتاة : حمدا لله . . قم . . اعتمد على ذراعي . .

**(تقيمه.. تمسح بمنديل جبينه وتسوى له شعره.. وهو يأخذ فى التماسك شيئا فشيئا)**

: لعلك أحسن . .

**(الفتى لا يرد ولكنه يعاود حالته الطبيعية)**

: تنفس بعمق فالجو اليوم طيب .

الفتى : لا شيء طيب على الإطلاق .

الفتاة : الجو طيب على الأقل ، هدئ خاطرك .

الفتى : هيهات أن يطيب بعد اليوم جو أو خاطر .

**(تشده برقة إليها فى دلال).**

الفتاة : تعال إليّ، أنا لا أعرف اليأس .

(تحتد فى عينى الفتى نظرة ولكنه يتراجع فى حياء أمام نظراتها الحنونة).

الفتى : لست على حال أهنأ معها بعطفك، معذرة.

الفتاة : ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : ليت ذلك فى الإمكان.

الفتاة : إنه ممكن إذا أردته.

الفتى : (متحسسا رأسه وعنقه فى تألم) إنه مستحيل أردت أم لم أرد.

الفتاة : إنها اللعنة القديمة التى تطارد التعساء.

الفتى : الحق إنها تطارد الأحياء.

الفتاة : وعلى الأحياء أن يحذروها، إنى أدعوك إلى السعادة الحقيقة فى الوجود.

الفتى : حتى السعادة تنقلب أحيانا بين أيدينا ترابا وخجلا.

الفتاة : يا لك من جاحد!

الفتى : لا أنكر عهدك، ولكنى أخشاه، أخشاه فى لحظة اندحارى الراهنة، وأراه من موقفى الدامى ذا جاذبية مخيفة تعمى البصر.

الفتاة : أهذا شعورك نحو تفتح القلب وتألق الأزهار وجنى الثمر؟!

الفتى : بل إنى أذكر مع الأسى ثقل الجنون، وترهل العضلات واسترخاء الهمم.

الفتاة : دعنى أكرر أن ليتك تقنع بصدرى ملاذا لك من متاعب الدنيا.

الفتى : يا له من جمال دافئ قهار. أقوى من الموت نفسه، ولكن تلاشت فى أحضانه أحلامى.

الفتاة : إنه أنفع من أحلامك .
الفتى : سيظل الجبن أكبر منغص لصفو الرجال .
الفتاة : من عجب أن تحن إلى فظاظة الخلاء !
الفتى : أحن حقا إلى توهج مصباح الحياة على حافة هاوية الخطر الداهم .
الفتاة : والدم والتشرد والغبار .
الفتى : بل قوة الاعتداد المسخرة للرياح .
الفتاة : ولدى زلة قدم يهال التراب على رجل من الرجال .
الفتى : والصرخات المدوية تتوارى فى أعقابها الفئران فى الجحور ، ولذة التساؤل المفعم بالقلق أمام احتمالات الحياة والموت .
الفتاة : ووجهك الملطخ بالدماء المثير للرعب .
الفتى : ونبض القلب بزهو النصر المؤسس على الحق والكرامة .
الفتاة : أنت أنانى ، زهدت فىّ بعد شبع . وشاقتك رائحة الدماء .
الفتى : إنى أحبك ولكنى أكره أن أتمرغ فى التراب .
الفتاة : هذا يعنى أنك لا تحبنى .
**(الفتى يشير إلى المصطبة المسربلة فى الظلام حاملة الرقود من الأشباح)**
الفتى : ليكن لى قدوة فى الغابرين .
الفتاة : لا أحب النظر نحو الموتى .
الفتى : لكنهم أحياء ما دمنا أحياء .
الفتاة : فراغ وراءك وفراغ أمامك ، ولا حقيقة فى الوجود سواى !

الفتى : كم استنمت إلى هذا الكلام الآسر حتى داستنى الأقدام .

الفتاة : لقد أشعلت غضبه بمزاحك .

الفتى : المزاح من آداب حياتنا فكيف يكون جزائى ضربا أليما موجعا !

الفتاة : طالما حذرتك من المغالاة فيه .

الفتى : ولما أردت الدفاع عن نفسى خذلتنى يداى .

الفتاة : الرجل المهذب خير عندى من الرجل القوى .

الفتى : صدقت حتى وهنت منى القبضة .

الفتاة : كان علىّ أن أنتشلك من حياة التشرد فى الخلاء .

الفتى : وهكذا هزمنى وهو يسخر من ضعفى .

الفتاة : لا تمزق عشرتنا بالكبرياء .

الفتى : إنها تتمزق بالمهانة كما تتمزق بالموت .

الفتاة : لا شيء كالموت .

الفتى : إنه ليس شر ما فى الحياة .

الفتاة : صدقنى فإنه العدو الأول للحياة .

الفتى : أيسرك أن أرضى بالهزيمة؟

الفتاة : ارض بأى شيء إلا الموت .

الفتى : وأعود إلى اللعب السعيد وقلبى يحترق بنار الهزيمة؟

الفتاة : للزمن بلسم يشفى كل شيء إلا الموت .

الفتى : (مشيرا إلى المصطبة) تعامل أجدادنا مع الموت بعقيدة أخرى فوهبوا الخلود .

الفتاة : لقد ماتوا وشبعوا موتا .

الفتى : (مخاطبا المصطبة وأهلها) قولوا إنكم خالدون .

(صوت من المصطبة كالصدى) : إنكم خالدون .

الفتاة : لا تخاطب الفراغ كالمجانين .

الفتى : ألا تسمعين؟

الفتاة : إنك تصرخ فى الأموات تبريرا لسفك الدماء .

الفتى : يا له من صوت رهيب!

الفتاة : متى كان للتراب صوت .

الفتى : **(مخاطبا المصطبة)** هل تسمعون ما يقال؟

الصوت ـ الصدى : **(بعد قليل)** هل تسمعون ما يقال؟

الفتى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الصوت ـ الصدى : ماذا فعلتم بالموت وماذا فعل بكم؟

الفتى : **(لا يزال متطلعا إلى المصطبة وكأنما يخاطب نفسه)**
إنهم يرددون قولى . . أجل . . ولهذا معنى عميق لا يخفى على لبيب . . وها هم يتحركون . **(يظلون رقودا طيلة الوقت ودون حركة)** . . إنهم يهدون إلىّ صورة عزيزة غابرة . . ها هو القتال يحتدم . . الشهداء يسقطون . . الجنود يتسلقون جدار الحصن كالنمل . . ها قد سقط الحصن . . وهذا هتاف النصر يدوى مخترقا جدار المئين من السنين **(ثم ملتفتا نحو الفتاة)** . . أرأيت . . أسمعت؟

الفتاة : لا شىء يرى ولا يسمع!

الفتى : لقد زلزلنى هتاف النصر فوق جثث الشهداء .

الفتاة : ما هى إلا هواجس رغباتك الجامحة فى القتل .

الفتى : سحقا للخمول فى خمائل الورد .

الفتاة : يا حسرتاه على حكمة الأيام الناعمة!

الفتى : **(مشيرا إلى المصطبة)** لقد لفحتنى أنفاسهم المحترقة حزنا علىّ .

**الفتاة :** ليس للأموات أنفاس تحترق .

**الفتى :** إذا مات الأموات أدرك الفناء كل شيء .

**الفتاة :** إذا أردت الحياة حقا فلا تنظر إلى الوراء .

**الفتى :** ولكن الوراء هو الأمام!

**الفتاة :** ولا تنظر إلى الأمام . .

**الفتى :** **(يقطب محتجا حائرا) .**

**الفتاة :** فلتغرق فى عينى توهب خلودا بين الظلمتين!

**(قهقهة ساخرة وحشية تترامى من ناحية اليسار).**

**الفتى :** أتسمعين استفزازه الساخر؟!

**الفتاة :** ريح هوجاء يعربد خلالها الشقاء .

**الفتى :** إنه يتحدانى!

**الفتاة :** سأغنى لك أغنية ترقص لها الحمائم فاستمع لى أنا!

**الفتى :** فلتطرب العصافير .

**الفتاة :** فلتهنأ بك شهوة الدماء .

**الفتى :** إن قهقهته الساخرة تحيل الهواء فى صدرى ترابا .

**الفتاة :** خير ما تفعل أن تصم أذنيك .

**الفتى :** ولكنى خلقت بأذنين .

**الفتاة :** لتسمع بهما مناجاتى الدافئة .

**الفتى :** يا لها من مناجاة أجهضت همتى . . الوداع . .

**الفتاة :** لن تستغنى عنى أبدا .

**الفتى :** فلتكونى الأمل المؤجل حتى يطيب كل شىء .

**الفتاة :** لن يطيب شىء بعيدا عن ذراعى .

**(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد).**

**الفتى :** الــوداع .

الفتاة : انعم بالنوم رغم الضوضاء .

الفتى : بل أقضى على الضوضاء قبل أن أنعم بالنوم .

الفتاة : كلمة أخرى . . لا أريد أن يدركنى اليأس .

**(الفتى يضع أصبعيه فى أذنيه. تنظر إليه مليا ثم تمضى إلى الجهة اليمنى).**

**(الفتى ينظر نحو المصطبة).**

الفتى : لا يمكن أن يدلنى على حقيقة الحياة إلا شخص أدركه الموت !

الصوت ـ الصدى : الموت .

الفتى : ذهبت . . ولكنها لن تذهب بعيدا . . محال أن أتحرر منها كلية . . ولا رغبة لى فى ذلك . . ولا قدرة لى عليه . . ولكنى أريد الحقيقة . .

الصوت ـ الصدى : الحقيقة .

الفتى : أفصحوا . . لا تتكلموا كما تتكلم الصخور .

الصوت ـ الصدى : الصخور .

الفتى : حدثونى عن الموت والحياة .

الصدى : الحياة .

الفتى : من هو البطل؟

الصدى : البطل .

الفتى : أهو المحارب؟

الصدى : المحارب .

الفتى : أهو المسالم؟

الصدى : المسالم .

الفتى : اللعنة . . اللعنة . . اللعنة . .

(يتحول الفتى عن المصطبة)

: (صائحا) عليّ أن أستعد . . إليّ بالطبيب . . أيها الطبيب .

(يدخل الطبيب.. بنفس الثياب التجريدية.. ولكنه ذو لحية.. وبيده حقيبة) .

الطبيب : لا تصرخ اتقاء للمضاعفات .

الفتى : وهل تأكدت من مرضى حتى تحذرنى من المضاعفات؟

الطبيب : إننا لا ندعى للأفراح .

الفتى : بل يبدو لى أنى مريض .

الطبيب : إننى أعمل يومين فى اليوم الواحد .

الفتى : ياه!

الطبيب : إنه الوباء . .

الفتى : هل يوجد وباء؟

الطبيب : كأنك تعيش فى قمقم .

الفتى : قمقم من الغم .

الطبيب : وهو ينتشر رغم المقاومة الفنية المنتظمة .

الفتى : لعلكم ازددتم به ثراء على ثراء .

الطبيب : نحن نثرى بفضل الأمراض لا الأوبئة .

الفتى : لكن الوباء ما هو إلا مرض كبير .

الطبيب : الوباء ينتشر انتشارا أعمى فيهدد كبار رجال الدولة ولذلك فهم يسخرون الأطباء لمقاومته فلا نفيد من ورائه خيرا يذكر .

الفتى : أمر يدعو للأسف، ولكننا ندفع ثمن إهمالنا للبيئات الفقيرة القذرة .

الطبيب : الوباء وفد من الخارج كالعادة دائما .

الفتى : ربما ولكنه يستفحل فى البيئات الفقيرة .

الطبيب : استفحل هذه المرة فى البيئات الراقية!

الفتى : ظاهرة غريبة تستحق الدراسة .

الطبيب : لكنك استدعيتنى لأمر أهم من التزود من الثقافة الصحية العامة .

الفتى : عندك حق . إنى أعتقد أنى مريض .

الطبيب : إنى مصغ إليك يا سيدى .

الفتى : لا أعراض خاصة تستحق الذكر .

الطبيب : لعلك ترغب فى إجراء كشف عام؟

الفتى : تقريبا .

الطبيب : إما أنك تريد أو لا تريد فما معنى قولك «تقريبا»؟

الفتى : لا مؤاخذة فهذا ما قصدته بالدقة .

الطبيب : ولمَ لَم تذكر ما تقصد بالدقة من أول الأمر؟

الفتى : لاَ تشتد فى محاسبتى على أسلوبى فى الكلام .

الطبيب : هل يجرى كلامك على هذا النحو القلق عادة؟

الفتى : تقريبا!

الطبيب : عدنا إلى تقريبا!

الفتى : فلنفترض أن الجواب بالإيجاب .

الطبيب : فلنفترض! . . ألا تستطيع أن تعبر عما تريد بدقة؟

الفتى : طيب، إنى أرغب فى إجراء كشف عام .

الطبيب : أسلوبك فى الكلام لا يخلو من دلالة مريبة .

الفتى : عدنا إلى الأسلوب .

الطبيب : إنه أول عرض .

الفتى : عرض؟!
الطبيب : إنك تحاور وتداور، ولا تقصد إلى هدفك رأسا.
الفتى : معذرة.
الطبيب : وهذا هو أول أعراض الوباء.
الفتى : الوباء!
الطبيب : أما بقية الأعراض فيمكن استنتاجها.
الفتى : لا أفهم شيئا.
الطبيب : غير مهم.
الفتى : ولكنه مرضى أنا.
الطبيب : إنه وباء فهو ملكية عامة.
الفتى : فليكن، علينا أن نفهمه على أى حال.
الطبيب : بل عليك أن تتداوى منه.
الفتى : حسن، فلتحدثنى عن بقية الأعراض.
الطبيب : بل عليك أن تحدثنى أنت.
الفتى : ولكنك قلت إن بقية الأعراض يمكن استنتاجها.
الطبيب : أتريد أن ترسم لى خطتى فى العلاج؟
الفتى : أنا تحت أمرك.
الطبيب : هذا هو العرض الثانى!
الفتى : أين هو؟
الطبيب : بعد المحاورة والمداورة تصدر جملة واضحة محددة وهى «أنا تحت أمرك».
الفتى : ولكنها مجرد مجاملة!
الطبيب : هذا ما يخيل إليك، أما الواقع فإنه العرض الثانى!
الفتى : بهذه الطريقة يمكن أن نعتبر أى عبارة عرضا من أعراض الوباء.

الطبيب : قولك هذا يقطع بعدم ثقتك فى العلم.
الفتى : ولكنى من المتحمسين للعلم . .
الطبيب : **(يهز رأسه فى شك وهو صامت)**
الفتى : **(وهو يشير نحو المصطبة المسربلة بالظلام)** إنى من أصل عريق كان أول من أحرز فى ميدان العلم نصرا.
الطبيب : الإشارة نحو الظلام مقرونة بالمباهاة عرض ثالث من أعراض الوباء.
الفتى : لست من هؤلاء . . إنى بصفة عامة متعصب للعصر الحديث . .
الطبيب : متعصب؟!
الفتى : أقصد أننى متحمس للعصر الحديث، ولا ألتفت نحو الأسلاف إلا تحت ضغط ضرورة ملحة!
الطبيب : وهاك عرضا من أعراض الوباء.
الفتى : إذن فأين يقع السلوك الصحيح؟
الطبيب : إنك لا تدرى عنه شيئا فيما أرى!
الفتى : إنى أجد دوارا فى رأسى!
الطبيب : الصراحة تحدث لك دوارا؟ . . عرض خامس!
الفتى : لعلى بالغت فى التعبير.
الطبيب : من الدوار إلى المبالغة . . عرض سادس!
الفتى : خير ما أفعل أن ألزم الصمت.
الطبيب : من الدوار إلى المبالغة إلى الصمت . . عرض سابع!
الفتى : ها . . ها . . ها . .
الطبيب : دوار، مبالغة، صمت، ضحك بلا سبب . . عرض ثامن . .

الفتى : ها . . ها . . ها . . ها . . ها . .
الطبيب : إغراق فى الضحك رغم التأكد من أعراض الوباء . .
عرض تاسع !
الفتى : (يخفى وجهه بين كفيه)
الطبيب : وتخفى وجهك ولكن أعراض الوباء لا تختفى .
الفتى : وماذا يمكن أن أفعل ؟
الطبيب : وهذا هو التساؤل الذى يمثل أخطر أعراض الوباء .
الفتى : الحق أنك لا تشخص مرضا ولكنك مصمم على إثبات وجود الوباء .
الطبيب : ها أنت تبدأ بالتهجم على ، ومعنى ذلك أنك تهادن من يتحرش بك وتتحرش بمن يحسن معاملتك . . وهذا هو العرض العاشر .
الفتى : إنك تثير غضبى .
الطبيب : وتغضب حيث يجب الحلم . . العرض الحادى عشر .
الفتى : (هازئا) لو لى لا بم .
الطبيب : هذيان لفظى . . العرض الثانى عشر .
الفتى : سيدى الطبيب ، ألم تعالج فى حياتك رجلا من أصحاب النفوذ ؟
الطبيب : حصل .
الفتى : وهل صارحته بما تصارحنى به الآن ؟
الطبيب : كلا .
الفتى : وكيف تصرفت معه ؟
الطبيب : تجنبت ذكر أى عرض يسىء إليه .
الفتى : ولكنك عرضت حياته للخطر ؟

الطبيب : هذا على أى حال خير من تعريض حياتى للخطر!

الفتى : أليس ذلك بعرض من أعراض الوباء؟

الطبيب : بلى!!

الفتى : إذن فأنت مصاب أيضا.

الطبيب : طبعا لم يسلم من الوباء أحد!

الفتى : ألا تتداوى من الداء؟

الطبيب : بنفس الدواء الذى سأصفه لك.

الفتى : وهو؟

الطبيب : إنه دواء واحد لا بديل له، وهو أن تسير إذا سرت على يديك، أن تسمع بعينيك، أن ترى بأذنيك، أن تتذكر بعقلك، وأن تعقل بذاكرتك.

الفتى : يا له من دواء غريب وشاق!

الطبيب : ولكنه ناجح وفعال ومجرب!

الفتى : شكرا لك.

الطبيب : عفوا آن لى أن أذهب.

الفتى : مصحوبا بالسلامة.

**(الطبيب يتجه نحو الناحية اليسرى. صوت القهقهة الساخرة يرتفع، الطبيب يتوقف عن السير. يستدير ذاهبا إلى الناحية التى جاء منها ويختفى)**

الفتى : آن لهذا الصوت الكريه أن يخمد، ولا حل إلا أن أؤدبه..

**صوت من الجهة اليمنى:** بل يوجد حل آخر.

**(يدخل رجل عملاق بادى الاعتداد بالنفس مبتسما بمودة)**

**الفـــتى :** من أنت؟

**العـمـلاق :** صـديق .

**الفـــتى :** ولكنى لا أعرفك .

**العـمـلاق :** نحن فى عالم لا نعرف إلا أعداءنا .

**الفـــتى :** ولكنى لم أرك من قبل .

**العـمـلاق :** ها أنت ترانى ، وفى هذا الكفاية .

**الفـــتى :** لا حول ولا قوة إلا بالله .

**العـمـلاق :** تذكر هذه اللحظة جيدا فسوف تؤرخ بها السعادة فى عمرك .

**الفـــتى :** ومـاذا تريد؟

**العـمـلاق :** أن أسـاعدك .

**الفـــتى :** فى أى شىء؟

**العـمـلاق :** فى قهر عدوك .

**الفـــتى :** ولكنى لم أطلب مساعدة أحد .

**العـمـلاق :** وهذا يجعل من تقـدمى إليك سلوكا جـديرا حـقـا بالصداقة !

**الفـــتى :** ومن الذى أرسلك؟

**العـمـلاق :** قل إنها العناية الإلهية .

**الفـــتى :** هذه إجابة عامة ولا تشفى .

**العـمـلاق :** إذن اعتبر أننى جئتك بحكم وظيفتى .

**الفـــتى :** وما وظيفتك؟

**العـمـلاق :** أن أقيم ميزان العدالة .

**الفـــتى :** ومن قلدك هذه الوظيفة؟

**العـمـلاق :** الفرد هو الذى يختار الوظيفة التى تناسبه .

الفـتـى : ولكننى لم أسألك المعونة .
العـمـلاق : ربما لأنك لم تكن تعلم بوجـودى على كـثب منك . وربمـا . .
الفـتـى : وربمـا؟
العـمـلاق : وربما لأنك تبالغ فى تقدير قوتك .
الفـتـى : هذا شأنى على أى حال .
العـمـلاق : كـلا .
الفـتـى : كـلا؟ !
العـمـلاق : إنه يدخل ضمن اختصاص وظيفتى ، علىّ أن أنقذك ولو من نفسك .
الفـتـى : ولكن مرجع الأمر فى النهاية إلىّ أنا .
العـمـلاق : ويرجع إلىّ بحكم وظيفتى .
الفـتـى : إنى أشكرك ، أرجو ألا تغالى فى اختصـاص وظيفتك . ثمـة رجل وقح اعتـدى علىّ ، ولا مـفـر من أن أؤدبه بنفسى . .
العـمـلاق : ولكنه يفوقك قوة ، ولا دافع لشره سواى . .
الفـتـى : لست فى حاجة إلى مساعدتك .
العـمـلاق : بل إنك فى مسيس الحاجة إليها :
الفـتـى : أكـرر الشكر ، ولكننى لا أعـرفك ولا تـربطنى بك صلة حقيقية .
العـمـلاق : إنى جـزء لا يتـجـزأ من المكان ، لى فيـه رزق وصـهـر ، وتربط أسرتى بأجدادك أواصر مودة قديمة .
الفـتـى : أجدادى؟ ! . . إنى أشك فى ذلك .
العـمـلاق : من أين لك هذا الشك؟

الفتى : إنى أعرف من كانوا على صلة بهم . .

العملاق : لابد أن تفوتك معرفة البعض، وأسرتى كانت ضمن ذلك البعض .

الفتى : حتى لو صح ذلك فإننى لا أعتبره ملزما لى بقبول مساعدتك .

العملاق : إنى أذكر ذلك التاريخ باعتباره مسوغا للقبول لا ملزما له!

الفتى : إذن لا إلزام هناك . .

العملاق : أما الإلزام فيجىء من طبيعة وظيفتى .

الفتى : إنى أرفض مبدأ الإلزام . .

العملاق : عجيب أن تقف هذا الموقف العنيد من مساعدة تهبط عليك من السماء . .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

العملاق : لن تستطيع ذلك وحدك .

الفتى : هذا لا يعنيك فى شىء .

العملاق : بل هو كل شىء عندى، هو وظيفتى فى الحياة .

الفتى : لا شأن لى بوظيفتك .

العملاق : لا تجعلنى أشك فى قواك العقلية .

الفتى : انصرف من فضلك ودعنى أتصرف كما أشاء .

العملاق : فكر . . فكر طويلا . . لا ترفض هبة العناية الإلهية .

الفتى : أنا الذى تلقيت الضربة وأنا الذى علىّ ردها .

(الفتاة ترجع وتتخذ مكانها بين الرجلين)

(العملاق يحنى لها رأسه فترد التحية)

العملاق : لى عظيم الشرف بلقاء ربة الدار .

الفـــتــــاة : شكرا يا سيدى .

العـــمـــلاق : كنت أذكـره بالصلة القـديمة التى ربطت بين أســرتى وأجداده .

الفـــتــــاة : سمعت كل شىء!

العـــمـــلاق : إنه ينكر تلك الصلة .

الفـــتــــاة : لا يمكن إنكار أى صلة قديمة أو حديثة .

العـــمـــلاق : مرحبا بصوت الحكمة .

الفـــتــــاة : كن رفيقا به فهو غاضب .

العـــمـــلاق : ألا يحق لى أن أتمسك بأداء وظيفتى؟

الفـــتــــاة : مباركة الوظيفة التى تصون الحياة . .

العـــمـــلاق : مرحبا بصوت الحكمة .

الـفـــــتـى : (مخاطبا الفتاة) . . مؤامرة!

الفـــتــــاة : معـــاذ الله .

الـفـــــتـى : مـؤامـرة .

الفـــتــــاة : افتح له صدرك .

العـــمـــلاق : أشكرك يا صوت العقل .

الـفـــــتـى : (للفتاة) إنى أطالبك بالاحترام .

الفـــتــــاة : قلبى ملئه الاحترام والحب .

العـــمـــلاق : لم تعاند محبيك؟

الـفـــــتـى : الحب قد يدفع إلى الهلاك .

الفـــتــــاة : الحب لا يتعامل إلا مع الحياة .

الـفـــــتـى : إنى أطالبك بالانسحاب .

العـــمـــلاق : غريب أن تعامل الجمال والحكمة بهذه الفظاظة .

الـفـــــتـى : (للعملاق) لا تتدخل فى شئونى الخاصة .

العـــمــــلاق : سـمعا وطاعـة .
الفـــــتـــــاة : إنى ذاهبة ما دمت ترغب فى ذلك ، ولكنى أتوسل إليك أن تفتح له صدرك .

(الفتاة تذهب)

(فترة صـمت يتبادل فيـها الرجلان النظرات، العمـلاق باسما والفتى غاضبا).

العـــمــــلاق : الجو أصبح أصلح للمناقشة .
الـفـــــــتـى : ألم تستنفد المناقشة؟
العـــمــــلاق : كلا بعد ، افتح لى صدرك ، واتخذ بعد ذلك قرارك .
الـفـــــــتـى : (يتنهد صامتا) .
العـــمــــلاق : أريد أن أساعدك .
الـفـــــــتـى : خبرنى صراحة عما تريد ثمنا لذلك؟
العـــمــــلاق : إنى صديق ولست بتاجر .
الـفـــــــتـى : حدثنى عما تريد .
العـــمــــلاق : لا شىء ألبتة .
الـفـــــــتـى : ألبتـــة؟
العـــمــــلاق : إلا ما تتطلبه ظروف العمل طبعا .
الـفـــــــتـى : ظروف العمل؟
العـــمــــلاق : لكى أؤدب عدوك فلابد من استدراجه إلى هنا .
الـفـــــــتـى : إلى مكانى هذا؟
العـــمــــلاق : نعـــم .
الـفـــــــتـى : لا يجـوز أن يدنس مقامى بقدمه .
العـــمــــلاق : لا تعط المكان أهمية أكثر مما يستحق .
الـفـــــــتـى : (مشيرا إلى المصطبة) إنه مقامى مذ كان مقاما لهؤلاء .

العـــمـــلاق : ولا تعط للأموات أهمية أكثر مما يستحقون .
الـفـــــتـى : إذن هذا هو رأيك عن الأجداد؟
العـــمـــلاق : إن باطن الأرض مليء بالعظام وهيهات أن تعرف أين عظام أجدادك بينها .
الـفـــــتـى : هذا رأى من لا أصل له .
العـــمـــلاق : لا تغضب . . ما أردته هو أن أبين لك خطتى فى العمل .
الـفـــــتـى : ولم لا تذهب إليه حيث يقهقه؟
العـــمـــلاق : إنى أعرف ما أريد .
الـفـــــتـى : سأجاريك فى أفكارك فهل إذا وافقت على رأيك تشرع فى العمل؟
العـــمـــلاق : ولكن ليس هذا بكل شيء .
الـفـــــتـى : ثمة شروط أخرى؟
العـــمـــلاق : لا تردد كلمة «شروط» فما أبغضها فى مقام الصداقة .
الـفـــــتـى : طيب . . ماذا تريد أيضا؟
العـــمـــلاق : فى فترة التأهب للمعركة أحتاج لرعاية خاصة .
الـفـــــتـى : مثال ذلك؟
العـــمـــلاق : تقدم لى الطعام والشراب والترفيه الضرورى .
الـفـــــتـى : جميل ، ولكن يخيل إلى أن مطالبك لم تنته بعد؟
العـــمـــلاق : ما أجمل أن تدعو الفتاة الجليلة لمجالستنا!
الـفـــــتـى : فتـاتى؟
العـــمـــلاق : إنها قلب كبير يتسع للجميع . .
الـفـــــتـى : ولعله يتسع أيضا لعدونا المشترك؟
العـــمـــلاق : أعنى أننى فى حاجة إلى الحنان قبل المعركة .
الـفـــــتـى : ومـاذا أيضا؟

العـــمـــلاق : بما أنني سأكون يدك عند الحاجة فمن الإنصاف ألا تتورط في فعل قبل مشاورتي . .
الـفـــــتـى : منطق سديد !
العـــمـــلاق : ولا أن تصادق شخصا قبل موافقتي فقد يكون لي عدوا .
الـفـــــتـى : واحد وواحد يساويان اثنين .
العـــمـــلاق : ولا أن تعادي شخصا قبل الرجوع إليّ فقد يكون لي صديقا .
الـفـــــتـى : من يجادل في ذلك؟
العـــمـــلاق : هـــل نبـدأ؟
الـفـــــتـى : أود أن أسألك سؤالا ، هل يمكن أن يفعل بي عدوي أكثر من ذلك؟
العـــمـــلاق : (مستنكرا) ولكن الفعل يتغير معناه بتغير فاعله .
الـفـــــتـى : فاعـــله؟!
العـــمـــلاق : قبلة من زوجك غير قبلة من بنت هوى، وصفعة من والدك غير صفعة من غريب!
الـفـــــتـى : وأنت تعتبر نفسك الوالد والزوجة لي؟
العـــمـــلاق : بدأنا نتفاهم فيما أعتقد .
الـفـــــتـى : (غاضبا) اغرب عن وجهي .
العـــمـــلاق : ماذا جرى لك؟
الـفـــــتـى : اذهب . . اذهب بلا تردد .
العـــمـــلاق : أين أذهب؟
الـفـــــتـى : ابعد عن مقامي .
العـــمـــلاق : ولكنه مقامي أنا أيضا .

الفـــــتى : ماذا قلت؟

العـــمـــلاق : يا سيدى، مضى وقت طويل ونحن نتبادل الحديث، وقت يعطينى الحق فى الإقامة، وبالإضافة إلى ذلك نشأت علاقة إنسانية صميمة مع فتاتك الحكيمة، بل مع هؤلاء الأجداد أنفسهم..

الفـــــتى : أنت بلطجى..

العـــمـــلاق : فليسامحك الله.

الفـــــتى : اذهب بعيدا، لا أريد مساعدتك، وسألقى عدوى وحدى..

العـــمـــلاق : عليك فى هذه الحال أن تقاتل اثنين!

الفـــــتى : كيف؟

العـــمـــلاق : إنك تناصبنى العداء وسأضطر إلى الدفاع عن نفسى..

الفـــــتى : تهاجمنى لأننى أرفض مساعدتك؟

العـــمـــلاق : لأنك تريد أن تطردنى من مقامى وتعطل وظيفتى الأساسية فى الحياة.

الفـــــتى : لا تستهن بى، لست عملاقا مثلك، ولكننى مصمم على منازلة الموت نفسه.

العـــمـــلاق : ما دمت تريد الموت فلتمت.

الفـــــتى : سأموت إذا مت وأنا أقاتل.

العـــمـــلاق : إذن فلتقاتل ولتمت.

(تعود الفتاة مسرعة)

الفـــــتـــاة : أردت أن تفتح صدرك للتفاهم لا للموت.

الفـــــتى : إنه شر من الآخر.

العـــمـــلاق : إنه أحمق.

الفتى : إنه من النوع الآخر ولكنه شر منه .
الفتاة : يا للأسف .
الفتى : لا منفذ إلى حياة طيبة مع وجودهما .
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟
الفتى : عندما يختفيان هما وأمثالهما .
الفتاة : كلام قديم معاد .
الفتى : ولكنه حـق .
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد؟
العملاق : إنى أردد هذه الكلمة المنشودة ولا من سميع .
الفتاة : (للعملاق) ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة بلا شروط؟
العملاق : إنى أبغض كلمة «شروط» .
الفتاة : ألا يمكن أن تقيم ميزان العدالة دون أن تطالب بشىء؟
العملاق : لن يكون هذا من العدل فى شىء . .
الفتاة : متى أسمع كلمة جميلة تتردد . .

(صوت القهقهة الهازئة يترامى من بعيد)

(العملاق ينصت إلى الصوت باهتمام ودهشة)

العملاق : رباه . . إنى أعرف هذا الصوت .
الفتاة : إنه صوت عدوه .
العملاق : عـدوه!
الفتاة : نعـم .
العملاق : يا لعجائب المصادفات!
الفتاة : هذا هو الرجل الذى قصدت بتقديم مساعدتك القضاء عليه .
العملاق : ها . . ها . . ها .

الفـــتـــاة : ماذا يضحكك؟
العـــمـــلاق : إنه قريبى من ناحية الأم!
الفـــتـــاة : قريبك؟ !
العـــمـــلاق : نعم . . يا لذكريات الطفولة السعيدة التى لا تنسى!
الـفـــــتـى : ظننتك تعرف العدو الذى جئت متطوعا لضربه .
العـــمـــلاق : ها . . ها . . ها .
الـفـــــتـى : ألا زلت عند رأيك فى مساعدتك؟
العـــمـــلاق : ولكنك رفضت مساعدتى!
الـفـــــتـى : هبنى قبلتها فهل تقدمها؟
العـــمـــلاق : مع كافة الشروط التى اشترطتها؟
الـفـــــتـى : لكنك تبغض كلمة «شروط»؟
العـــمـــلاق : نعم أم لا؟
الـفـــــتـى : نعـم .
العـــمـــلاق : فى هذه الحال ألعب دور رسول السلام بينكما .
الـفـــــتـى : رسول السلام؟
العـــمـــلاق : إكراما لهذه الفتاة الحكيمة ، ولك .
الـفـــــتـى : وتعهداتك السابقة؟
العـــمـــلاق : للقـربى حقـوق ، وإنى لا أوفيهـا حقهـا الكامل بموقفى هذا . .
الـفـــــتـى : ولكنه هو المعتدى؟
العـــمـــلاق : ولـــو!
الـفـــــتـى : وهو فى الأصل قاطع طرق ليس إلا؟
العـــمـــلاق : ولـــو!
الـفـــــتـى : إنه وحش ذميم .

العـــمـــلاق : إنك لا تراه على حقيقته .
الـفـــــتـى : ألم تسمع قهقهته الساخرة؟
العـــمـــلاق : هذه هى طريقته فى المزاح ، يا له من شاب خفيف الروح حقا!
الـفـــــتـى : ولكنى أعرفه حق المعرفة ، من خلال المعاملة والجوار والصراع عرفته .
العـــمـــلاق : صدقنى إنه لا يكشف عن مكنون كنوزه إلا لمن يحبه ويفهمه .
الـفـــــتـى : بل لا تلين عريكته إلا لمن يشكمه بالتأديب والضرب .
العـــمـــلاق : أحمد الله على أنك لم تتمكن من ضربه .
الـفـــــتـى : ولـم؟
العـــمـــلاق : كنت سأهرع إلى نجدته .
الـفـــــتـى : ها أنت تهددنى .
العـــمـــلاق : للقرابة حقوق .
الـفـــــتـى : تجلت الحقيقة ، فما أنت إلا بلطجى كقريبك .
العـــمـــلاق : يا له من تفكير خليق بأن يقود إلى الهلاك .
الـفـــــتـى : لا تضيع وقتى هباء .
العـــمـــلاق : تصرف بوقتك كما تشاء .
الـفـــــتـى : سأسوى حسابى بنفسى .
العـــمـــلاق : أنت تعلم أن هذا الكلام لا معنى له ، وقد وضحت لك أهداف وظيفتى . .
الـفـــــتـى : اللعنـــة!
العـــمـــلاق : إنى صديقك أردت أم لم ترد ، وإنى قريبه قبلت ذلك أم لم تقبله ، وأنا أكبر منكما سنا وأعظم قوة ، فواجبى أن

أجمع بين ثلاثتنا بعهد صداقة دائمة جديرة بهذا المكان الذى يؤاخى الأحياء والأموات أنفسهم.

**الفتى:** كلام طيب ونية لئيمة وفعل غشوم..

**العملاق:** (مخاطبا الفتاة).. تكلمى أنت.

**الفتاة:** لم يعد عندى من جديد أقوله.

**الفتى:** اعترفى بأننى على حق.

**الفتاة:** أعترف بأنه لا يهمنى فى هذا الوجود إلا الحب.

**العملاق:** كم أنك حكيمة!

**الفتى:** كم أنك أنانية.

**الفتاة:** الحب عطاء بلا حدود ولا نهاية.

**الفتى:** الوحش يأخذ ولكنه لا يعرف العطاء.

**الفتاة:** ليتك تؤمن بالحب.

**الفتى:** لا حياة للحب بين الوحوش.

**الفتاة:** الحب أقوى قوة فى الوجود بيد أنه سلاح لا يسلس إلا لمن يؤمن به.

**الفتى:** للوحوش لغة أخرى.

**الفتاة:** أخشى أن تنقلب وحشا مثلهم.

**الفتى:** الكرامة أهم من الحياة نفسها.

**الفتاة:** الفضائل الحقيقية ثمار لا تنبت إلا فوق شجرة الحب..

**العملاق:** (مخاطبا الفتى).. من المؤسف أنك تحب الموت أكثر مما تحب فتاتك الجميلة الحكيمة.

**الفتى:** الموت أحب إلىّ من الخضوع لإرادتك.

(القهقهة الساخرة تترامى من بعيد).

**العملاق:** يا له من فتى ضحوك، يحب المزاح بقدر ما يحب الحياة الآمنة!

الفتى : إنك لئيم بقدر ما أنت قوى .

العملاق : أمامك عملاقان، ووراءك حياة طيبة، فارجع إلى الوراء .

الفتى : إلى الأمام .

العملاق : (للفتاة) أقترح أن ندعه لنفسه ليفكر بهدوء فإن الجدل يغريه بالعناد والمكابرة .

**(العملاق والفتاة يخرجان من بابين متقاربين فى الناحية اليمنى)..**

**(الفتى يتفكر قليلا.. ينظر ناحية المصطبة المسربلة فى الظلام).**

الفتى : آن لكم أن تنطقوا .

الصدى : تنطقوا .

**(الفتى يلوح بيده غاضبا.. يذهب ويجىء متفكرا.. يدخل رجل أعمى يتحسس طريقه بعكاز، يتصنت مائلا برأسه نحو الفتى)**

الشحاذ : هل يوجد أحد هنا؟

الفتى : نعم .

الشحاذ : أنت الذى ناديتنى؟

الفتى : كلا .

الشحاذ : لكنه صوتك وأذنى لا تخطىء .

الفتى : خبرنى عما تريد .

الشحاذ : ماذا تريد أنت؟

الفتى : ألست شحاذا؟

الشحاذ : بلى .

الفتى : لعلك تريد إحسانا؟

الشحاذ : رزقت اليوم بما فيه الكفاية ، فماذا تريد أنت؟
الفتى : لا أريد شيئا .
الشحاذ : كذب!
الفتى : شحاذ ووقح .
الشحاذ : لم تشتمنى؟
الفتى : كيف تجرؤ على رميى بالكذب؟
الشحاذ : لأنك كذاب!

(الفتى يرفع يده ليضربه ولكنه يتراجع أمام عجزه)

الفتى : اذهب قبل أن أكسر رأسك .
الشحاذ : لا أذهب حتى أعرف لماذا ناديتنى؟ وماذا تريد منى؟
الفتى : اذهب أحسن لك .
الشحاذ : ليس قبل أن أعرف ماذا تريد .
الفتى : (ساخرا) وهل عندك ما تعطيه؟
الشحاذ : اطلب ما تشاء .
الفتى : (ضاحكا رغما عنه) إنى مدين لك بأول ضحكة فى يومى .
الشحاذ : هذا قليل من كثير مما عندى .
الفتى : يخيل إلىّ أنك غنى .
الشحاذ : جدا .
الفتى : ماذا تملك؟
الشحاذ : عالم الظلام الذى لا نهاية له .
الفتى : أنت خفيف الروح رغم سلاطة لسانك ، وكان ينبغى أن تجد ملجأ يؤويك .
الشحاذ : التحقت ذات يوم بملجأ .

الفتى : ولم تركته؟
الشحاذ : رُفِتُّ!
الفتى : (ضاحكا) أسمع أول مرة عن رفت الشحاذين!
الشحاذ : كان ناظر الملجأ فظا غليظا ولصا لا حياء له .
الفتى : وتوقع أن تسبحوا بحمده على أى حال؟
الشحاذ : ولكن بعضنا تمرد وكنت على رأس المتمردين!
الفتى : وفضلت أن تهيم على وجهك بلا مأوى؟
الشحاذ : نعم .
الفتى : ولكن أليس الملجأ بكل عيوبه أفضل من التسول والتشرد؟
الشحاذ : الحرية أفضل من الأمن نفسه!
الفتى : يخيل إلى أنك شحاذ مثقف!!
الشحاذ : أعرف أشياء كثيرة .
الفتى : مثل ماذا؟
الشحاذ : أن أرى بأذنى .
الفتى : وماذا أيضا؟
الشحاذ : وأن أسير على يدى!
الفتى : أنت ترى بأذنيك وتسير على يديك!
الشحاذ : وصادفنى فى تجوالى بعض الرسميين فقادونى مرة أخرى إلى الملجأ .
الفتى : إلى الوحش؟
الشحاذ : كلا ، كان قد خلفه ناظر جديد عادل وأمين ورحيم . .
الفتى : وكيف تركته بعد ذلك؟
الشحاذ : هربت!

الفتى : غير معقول .

الشحاذ : كان عادلا وأمينا ورحيما ولكنه مغرم بالنظام لدرجة الهوس ، ويطبقه بدقة فلكية ، ولا يقبل مراجعة . .

الفتى : ولكنك نعمت بالغذاء والكساء والراحة والنظافة . .

الشحاذ : الأكل بميعاد والشرب بميعاد و«ولا مؤاخذة» بميعاد والنوم بميعاد ، فكدت أن أجن . .

الفتى : وتمردت مرة أخرى؟

الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه فلم يطاوعنى ضميرى على التمرد على رجل عادل أمين رحيم .

الفتى : كان عليك أن ترضى . .

الشحاذ : حتى التمرد حرمت منه!

الفتى : التمرد ليس خيرا فى ذاته .

الشحاذ : ولكنه خير من أن تكون حجرا .

الفتى : وهكذا هربت؟

الشحاذ : هكذا هربت .

الفتى : إلى التراب والحشرات واللقمة العفنة!

الشحاذ : إلى سعادتى الحقيقية .

الفتى : حديثك مثير وعجيب .

الشحاذ : فتك بعافية .

**(الشحاذ يتحرك)**

الفتى : انتظر . .

**(الشحاذ يستمر فى سيره)**

الفتى : ألا تريد أن تسمعنى؟

**(يمضى الشحاذ حتى يختفى)**

**(يعود العملاق.. تعود الفتاة)**

**الفـــــتـــــاة :** قلبى طيلة الوقت معك .

**العـــمـــلاق :** لعلك اقتنعت برأيى .

**الـفـــــــتى :** أيهـا السيـد الذى يحب الشـر ، ويحب الخـيـر أحيـانا لحساب الشر .

أيتها السيدة التى تحب الخير ، وتحب الشر أحيانا لحساب الخير .

إليكما رأيى النهائى .

سأصون كرامتى حتى الموت .

**الفـــــتـــــاة :** **(تخـفى وجـههـا بين يـديهـا وستظل كـذلك إلى ما قـبل النهاية)**

**العـــمـــلاق :** شعار الوباء الذى فتك بملايين الحمقى . .

**الـفـــــــتى :** ينابيع الحيـاة الحـقـة مهـددة بالجـفـاف ، أشـواق القلب الخالدة يساومها الضياع ، سحقا للوحشة التى تذبل فيها معانى الأشياء ، إنى ذاهب . .

**(القهقهة الساخرة ترتفع)**

**(الفـتى يتحـول نحوها فى تـصمـيم ويتقـدم. العمـلاق يثب نحوه. الفتى يدفعه. العملاق يقبض على كتفيه ويدفع به نحو المصطبة. الفتى يندفع حتى يغـيب فى الظلمة، الفتى يرتد كأنه كرة ارتطمت بجدار منقلبا على وجهه ثم يقف مترنحا.**

**وكأن حـركته أيقظت الرقـود وشدتهم من رقادهم. يتـدحرج أولهم حتـى يصل إلى مقدم المسـرح وينهض فى تثـاقل كمن يقوم من نوم. يتبعه آخر مكررا نفس الحـركة. ويتتابع كثيرون. رجالا ونساء مكررين نفس الحركات حتى يكتظ بهم المسرح.**

العملاق يتزحـزح رويدا رويدا حتى يغيب فى المدخل المفضى إلى القهقهة الساخرة.

تتم يقظة الجميع. تنتصب قامتهم. يرتسم العزم فى وجوههم. يجرى ذلك فى تمثيل صامت. يسيـر الفتى نحو ناحيـة عدوه وهو يضرب الأرض ضربات مسموعة منتظمة. يمضون خلفه فى عزم صلب حتى يختفوا جميعا. ضربات أقدامهم ما زالت تترامى)

الفـــــتـــــاة : (ترفع يديها عن وجههـا.. تصغى بحزن.. وترمى بنظرها إلى بعيد).